عادات وتقاليد الخطوبة والزفاف في مجتمع وادي سوف خلال القرنين 19 و20 الميلاديين

أ/ الجباري عثماني
جامعة حمّه لخضر الوادي

الملخص:

الزواج أساس تكوين الأسرة، وهو نظام من أهم النظم الاجتماعية وأعظمها شأنا في حياة الأفراد والمجتمعات. كما هو أيضا علاقة شرعية بين الرجل والمرأة، يتم دائما وفق عادات وتقاليد وطقوس يقرها المجتمع. الخطوبة أول مراحل الزواج والفترة التمهيدية التي تسبق عقد القران، ففيها يتم اختيار الفتاة للشاب وفق طرق وعادات تعارف عليها المجتمع السوفي، وبعدها يتم الزواج وفق مسميات أيامه السبعة والمراسيم والعادات وغيرها من السلوكيات الاجتماعية التقليدية لساكنة وادي سوف خلال القرنيين الماضيين.

Résumé

Le mariage est la base de formation de la famille aussi est un système sociaux les plus important et la plus grande affaire dans la vie des individus et des communautés. Comme ce est aussi la légitimité de la relation entre les hommes et les femmes qui sont toujours en conformité avec les coutumes et traditions et rituels approuvés par la communauté. La fiançant c'est Les premières étapes du mariage et le période d'introduction qui précède le contrat de mariage. Dans la fiançant le jeune choisit sa femme selon les habitudes par la société Soufi . Et puis se marier selon les noms des sept jours, les décrets et les habitudes et d'autres comportements sociaux traditionnels de la population d' Oued –Souf .

استهلال:

منذ وُجد النوع البشري على الأرض وُجد الزواج والاجتماع بين الرجل والمرأة، لا تشذ أمة عبر التاريخ عن هذه السنن. ويمر الزواج عند أغلب الشعوب على مرحلتين، والعرب كأمة من الأمم عرفت الخطبة والزواج منذ الجاهلية، والشارع الحكيم أبقى على الخِطبة – كمرحلة أولى – وجعلها من مقدمات عقد الزواج لكونه من أخطر العقود؛ لأنه ينعقد على الحياة الإنسانية، وهو من العقود الدائمة ما بقي الزوجان على قيد الحياة[1] ودامت العشرة الطيبة بينهما. وقد تعددت الثقافات من مجتمع إلى آخر بل من قرية إلى أخرى في الإقليم الواحد، في شأن عادات ومراسيم وطقوس الخطبة والزواج. وهذا ما سنحاول أن نتناوله بالدراسة ضمن مجتمع وادي سوف العربي المسلم، الذي يعيش في البيئة الصحراوية المحافظة. إذن فالموضع يطرح أسئلة عديدة منها: كيف كانت تتم مراسيم وعادات الخطبة والزواج في سوف؟ ما هي أهم المراحل التي وضعت كعرف اجتماعي؟ وهو ما سنحاول الإجابة عنه في الفقرات الآتية.

أولا– الخطوبة عاداتها وتقاليدها:

الخطوبة في اللغة من الخطب، الخطب: سبب الأمر، وخطبت المرأة خِطبة بالكسر، وكذلك هو في قوله تعالى: ﴿*وَلا جنَاح عَلَيْكُم فِيمَا عرضتم بِهِ من خِطْبَة النِّسَاء*﴾. ويقال: خطب الرجل المرأة يخطبها فالمرأة خطب وكذلك الرجل[2]. وأما اصطلاحا، فهي التماس الزواج والمحاولة عليه صريحا؛ أي، أن الخِطبة وعد بالزواج، ومنه يجوز للطرفين العدول عنه. وتنطوي على طلب يتقدم به الرجل إلى المرأة التي يرغب بالزواج منها[3]، وهي اتفاق يسبق قراءة الفاتحة غالبا يكون بين والدي الخطيبين أو أوليائهما، وينتهي بإيجاب دون إبرام عقد؛ ولذلك يمكن القول، أن الخطبة، هي إعلان رغبة الرجل في الزواج من امرأة معينة، ويتم الزواج بعد الاستجابة لهذه الرغبة[4].

وشُرّعت الخطبة لعدة مقاصد نذكر منها: أنها وسيلة لحسن اختيار الزوج أو الزوجة، والخطبة وسيلة لوقوف الخطيبان على الصفات الخُلقية والخَلقية لبعضهما البعض، كما هي وسيلة لتحقيق شرط الرضا لإتمام عقد الزواج؛ وتمكين معنى المحبة والمودة بينهما مستقبلا[5].

ويرى كثير من الباحثين أن الخطبة كمرحلة أولى من الزواج، تعد تقليدا قديما تعود جذوره إلى ما قبل العهد الروماني، يتم فيها الرضا والقبول[6].

والخطوبة إذن، هي مرحلة هامة وخطيرة من فصول الزواج، والتي يتقدم فيها الشخص إلى قرينته فيطلبها للزواج، ويتفق معها على مفردات الحياة التي سيعيشانها جنبا إلى جنب. وفي تلك المرحلة يعيش المخطوبان فترة استعداد نفسي وروحي ومادي بانتظار اللحظة المناسبة للزواج. والخطوبة فيها الكثير من المفردات التي يمر بها المخطوبان، أو مراسيم فرضتها على الفرد العربي المسلم التقاليد العربية الأصيلة، وتبقى لكل مجتمع مفرداته وتقاليده الخاصة في هذا المجال، فالمجتمع السوفي يسوده الحياء والحشمة والمروءة بين أفراده، ذو طبائع قاسية أملتها ظروف بيئته شبه المعزولة من حيث موقعها الجغرافي[7] من جهة، وشدة تمسكه بتعاليم دينه من جهة ثانية، جعلت منه مجتمع متميز مغاير عن باقي المجتمعات في هذا المضمار. وسنحاول قدر الإمكان في الآتي الإلمام بمفردات الخطوبة في مجتمع البحث.

1- الاختيار:

الاختيار أو الاصطفاء يتضمن جملة روافد تشكل برمتها المقدمة الأساسية لبدء الخطوبة، منها النعت وهو وصف المرأة، هيئتها لون بشرتها، الطول والقصر، شكل عينيها لون شعرها وملمسه إلى غير ذلك، في عموم مجتمع سوف لا دخل للمعني(الشاب) في اختيار مخطوبته، وإنما يتولى ذلك الوالدين. وهناك عدة طرق للخطبة في المنطقة، ومنها: الخطبة من بنت العم شقيق الأب، يفضل السوافة اختيار شريكات أبنائهم للزواج من أقربائهم، حيث من المستحيلات أن تخرج الفتاة ذات الجمال خاصة وحتى المتوسطة خارج دائرة أبناء العم؛ حتى أن الذي يسأل عنها بغرض خِطبتها، يُجاب كما يشاع: "هي عند ولدْ عمَّها ولها ولدين"، أي، ابحث عن بدلها. وهذا النوع من الخطبة طبعا يفرض قيودًا على حرية الاختيار والقبول، وأحيانا تبدأ الخِطبة من لحظة ولادة البنت، ومفادها أن، القابلة عندما تقطع الحبل السري، تربط في الحبل خيط وتقول فلانة لفلان، ويُطلق على هذا النوع من الخطبة؛ "خطوبة من الحفرة" أو "فلانة مسميه من الصغر"[8].

والطريقة الثانية في اختيار الفتاة بغرض الخطوبة، تتم في محافل الأعراس؛ وذلك بمشاهدة الشاب لها عند رقصة النخ[9]؛ فيقوم الشاب بوضع مرحمة حمراء على رأس الفتاة التي تعجبه ويرشه بالعطر، ويطلب من أهله خطبتها. وهناك طريقة أخرى وهي "التقرزين"، حيث عندما يرى الشاب الفتاة ذاهبة مع قريناتها إلى البئر لملء القرب بالماء أو غير ذلك من الأماكن الأخرى؛ يقابلها ويحادثها، وعادة ما يحدث هذا في المجتمعات البدوية، وفي بعض الأماكن العريقة مثل الزقم وقمار[10]. ونوع رابع يسمى "قصة بقصة" وهو النوع الذي يتم بين أسرتين لكل منهما ابن وابنة، وعلى أن يتزوج ابن أحدهم بنت الآخر والعكس[11]. وهناك من يستعين في اختيار الفتاة للزواج بما يسمى بـ "المرأة الخطابة"، وهي التي يطرق بابها كل من يريد الزواج، فتعرض عليه أنواع النساء من البكر والمطلقة أو الأرملة، ومستوى عيش أسرتها، شكلها جميلة أو متوسطة، وتصف لهم الطول والقصر والشعر والعين، والجمال(اللون)، ولهم بعد ذلك الاختيار[12].

وهناك نوع آخر من أشكال الخطوبة، يمكن أن نسميه الخطوبة بالإكراه، ويدعى في المنطقة بـ "الهرّابة"، ويكون بعد أن يتقدم الشاب لخطبة الفتاة، ويقابل طلبه بالرفض من أهلها، هنا يعزم المرفوض ويصرُّ كل الإصرار على أن تكون هذه الفتاة من نصيبه، بعملية التهريب المدفوع لها كُرها، وأحيانا تتم باستشارة كبير القرية أو شخص له وزنه؛ وذلك تلبية لنيل مرغوبه من الفتاة التي أرادها له زوجة على الوجه الشرعي. وفصولها، بأن يجمع هذا الشاب مجموعة من أصدقائه قد يبلغ عددهم أحيانا ثلاثين شخصا، حسب درجة انفتاحه على المجتمع ومكانة أسرته؛ ليقوموا بتهريبها من بيت أبيها، فقط شريطة أن تكون هذه الفتاة موافقة لما سيقوم به هذا الشاب. ينتظر الشاب موعد حبيبته عند خروجها لجلب الماء أو ما شابه، ثم وبسرعة البرق يخطفها الشباب، ويلبسونها برنس من صوف لكي تُستَر الفتاة ولا تظهر لها عورة، ثم يمسك بيديها اثنان، واحد على اليمين والآخر على الشمال، والبقية يحيطون بالفتاة قصد التصدي لأي هجوم أو ردّة فعل لمحاولة إرجاع الفتاة من هذا الجمع.

ثم يذهبون بها مباشرة إلى بيت كبير القرية، أو إلى زاوية دينية أو أسرة أحد الوجهاء، حيث تُحفظ في الأماكن المذكورة، وهذا لكي يشفع هذا الكبير أو المرابط للموافقة على

خطبتها للشاب بعد حضور والد الفتاة لأخذها؛ والذي قد يخجل من كبير الحي أو الشيخ؛ فيسلم للأمر الواقع ويوافق على خطوبة ابنته لذلك المهرّب في غالب الأحوال. ويتم هذا إذا كانت البنت عزباء وليست مخطوبة أو معقود عليها، وبعدما تتم الخطوبة القصرية، يُكرم الجميع من كبير القرية أو الشيخ بإقامة عشاء دسم، وبعدها تعود الفتاة إلى بيتها برفقة أبيها، ليُباشر في التحضير للزواج.

وفي شأن الهرّابة، أوردت ابرهاردت مثالا على ذلك، وتمثلت في قصة "حمّ الصغير"، الذي قام بتهريب بنت حارس البرج "عبد الله بن الحاج سعد" والمسماة "سعدية" في عمرها ثلاثة عشر سنة، والتي رآها لأول مرة عندما نزل لشرب الماء، فوجدها هناك؛ فأمعنت فيه النظر، ولعله دار حوار بينهما انتهى بوعد حمّ الصغير بأنه سيأتي بعد خمسة عشر يوما لطلبها من أبيها، وبعد هذه المدة جاء وطلب البنت؛ فرفض وقال الأب: كيف أعطي ابنتي لمتشرد مثلك. أخذ حمّ يتحين الفرصة، وذات يوم نزلت سعدية لجلب الماء، تسلل إلى مكانها حمّ ووضع يده في يدها دون مقاومة، إنها تحبه وتثق فيه، هرب بها ورأى فرصته في نيل مرغوبه. غضب الشيخ من تأخر ابنته، فنزل إلى مكان ورود الماء، فلم يجد إلا القربة؛ فأيقن أن ذاك المتشرد هرّب ابنته، وبعد رسائل ووسائط، وبتدخل من مقدم الطريقة القادرية بقمار، رضخ سي عبد الله وطلب من المقدم أن يكتب رسالة العفو، الذي طلبه الزوجان الهاربان[13].

وقد أفصحت رسوم الزواج الصادرة عن المحاكم الشرعية التي كانت تنشط في الوادي خلال العهد الاستعماري، أن الخطوبة ومن ورائها الزواج محصور عند أهل سوف بين أفراد الفرق والأفخاذ من العرش الواحد، وذلك بذكر العبارة: "من القبيل"، وهم لا يزوجون بناتهم من ينتمون لعروش أخرى، إلا في حالات نادرة ونادرة جداً؛ لذا نجد أن هذه التفرقة قد أثرت سلبا على المتحابين من أصول مغايرة، نتيجة النظر بعين الريبة للمرأة البرانية كما يطلق عليها؛ والتي هي الأخرى تحس بالوحدة والوحشة، وغالبا ما يكون مصير هذا الزواج الفشل والانفصال، رغم الهُيام الذي يجمع المتحابين اللذين فرقت بينهما نعرة الجاهلية الأولى. وأصدق مثال على رفض خطبة وزواج من خارج القبيلة رغم

وقوعهما في شراك الحب والغرام، تلك القصة الشهيرة في سوف، والمعروفة بـ "غرام زهور"، بين خليفة بن قدور الحمدي وزهور بنت احميدة العشي[14].

2- المعاينة:

من نهج المصطفى عليه والصلاة والسلام، أنه كان دائما يسأل عن صفات المرأة قبل الخطبة، فقد طلب يوما من أم سليم أن تنظر في امرأة أرادها قائلا لها: "شمي عوارضها، وانظري إلى عقبها"، أراد النبي عليه الصلاة والسلام أن يستفسر عن طبيعة رائحة العوارض وهي الأسنان، والعقب أو العرقوب هو مؤخر القدم. وقد أوصى الخليفة عمر بن الخطاب(رض) في هذا الصدد قائلا: "لا تكرهوا فتياتكم على الرجل القبيح فإنهن يحببن ما تحبون"[15]. غير أن في الغالب الأعم نجد في المجتمع السوفي، أنه لا رأي للخاطب في اختيار مخطوبته وشريكة حياته في المستقبل كما ذكرنا آنفا، فالأب والأم هما من يختاران من ستكون زوجة لابنيهما، بعد التشاور والتنسيق بينهما تستدعى العمّة(أخت الأب) كوسيط تقديرا واحتراما ومحل الثقة لدى أخيها(الأب)؛ لتُرسَل مع أم الشاب وربما أخته إن كان له شقيقات متزوجات، إلى البيت الذي توجد فيه المعنية بالاختيار.

ويذهب الجمع إلى بيت أهل الفتاة محل الخِطبة، ويستعين الطرفان على الكتمان في هذه المرحلة، وبعد الدخول والجلوس تفصح العمّة عن مرغوبهم؛ إن لم يكن للأم علما بذلك، وتبدأ المعاينة الخارجية من خلال الشكل الواضح والجلي، وقد تطلب إحداهن من المعنية الوقوف في الشمس حتى يتسنى كشف اللون الحقيقي للشابة. وبعدها تدخل الفتاة في الامتحان الأصعب، والمعاينة الحقيقية؛ والتي يركز عليها السوافة أكثر من المظهر الخارجي، وتتم بعدة طرق، منها مثلا: تطلب قائدة السّفارة من الفتاة إحضار إناء من الماء للشرب، فإذا أتت به مملوء تعتبرها مسرفة ومبذرة، وإذا لم تملأه فيعجبها الأمر وتعتبرها فتاة عامرة[16]. والاختبار الثاني الذي تقوم به والدة الشاب أو عمته، هو رؤية فيما إذا كانت الفتاة تهتم بشؤون البيت، ومعرفة إن كانت تتقن الغزل والنسيج، فإن رأت أن الفتاة تنسج وتغزل أو تحاول ذلك وتجيد الأعمال المنزلية؛ فتعتبرها ناضجة ومستعدة للزواج.

والبعض من السوافة يركزون في معاينتهم لمخطوبات أبنائهم على سلامة الفتاة وقدرتها على شؤون البيت وعلى الإنجاب، فأعينهم لا تقع إلا على شجاعتها وقوتها ووعيها، ولا يولون للجمال قبلة مع عدم إهماله، حيث لا ترفض الفتاة للون بشرتها، بيضاء كانت أم سمراء أم بها عورة، إنما يُنصح بذوات النسب الأصيل، كما في المثل: "خذ بنات الأصول عاش الزمان يدور"، وآخر، "ماتشوفش لجلودها شوف لجدودها". وقد قيل في ذلك شعرا رغب فيه صاحبه على اختيار الأبكار الصغيرات ملأ العود، وحذّر من بعض ألوان البشرة التي تدل على الضعف مثل الصفار، نذكر منه:

لا تاخظ[17] المرا البيضاء البياض إذا طاح في العين يعميها

ولا تاخظ المرا الصفرا الصفار إذا طاح في الغنم يهبيها

ولا تاخظ رقيقة الساق وسنونها بالعدادي هي تنادي على الهم والهم عليها ينادي

ولا تاخظ المرا الكبيـرة لاك بالصحة ولاك بالذرية

وأما عند العائلات التي لها نصيب من الثقافة، أو تلك المتأثرة بعادات وتقاليد مجتمعات أخرى أكثر تحضرا، فإن أمر الخطوبة عندها أيسر، والمجال لاختيار الفتاة بالنسبة للشاب أوفر، مع مراعاة مقاييس الجمال للخاطب في الجانب الشكلي والوجداني. حيث يسمح له بأن يختار من قد تعجبه من بنات الجيران، أو تلك التي رأتها عينه في عرس من أعراس البلدة عند عرض البنات المقبلات على الزواج أثناء الاحتفال، وبعدها يتقدم أهل الشاب لأهل البنت لخطبتها بالطريقة المذكورة.

3- الخطّاب:

بعد المعاينة من طرف النساء، يأتي الآن دور الرجال، وجرت العادة عند السوافة أن يتولى أمر الخِطبة الرسمية والد الشاب يرافقه عدد من مشايخ قبيلته وأبناء عمومته وغيرهم من وجهاء وأعيان المنطقة، إذ لا يجوز مجيء الخاطب لوحده؛ فيعتبر هذا منقصة له ولأسرته من جهة، وتقليلا من شأن المرأة وأهلها من جهة ثانية، فتخطب المرأة من ولي أمرها بحضور قبيله أو باستشارتهم، وبعض العائلات الكلمة الأولى في الرفض أو القبول

تكون للجد والد الأب؛ إذ لا بد أن تكون الموافقة الرسمية والمبدئية والنهائية من قبله، وإلا فلن تكون هناك خطوبة تعرف، ويعد هذا الرافد كتتويج للمرحلتين السابقتين..

ومن العادات حين اجتماع الخطوبة بين أولياء العائلتين، يتقدم ولي الخاطب لخطبة الفتاة من وليّها ليقول له: "جيناكم خاطبين راغبين في بيت الحسب والنسب، طالبين بنتكم فلانة لابننا فلان"، ليرد أب البنت: "لفلان؟! راهي ليكم". ومن العادة أيضا عند أهل سوف أن لا شرط لأهل المخطوبة على أهل الخاطب شيئا سوى الهناء والدعاء بأن يكمل الله بين الطرفين، كما لم يكن هنالك تبادل للزيارات بين المتخاطبين، وممنوع على الرجل رؤية خطيبته عند وبعد الخطوبة، إلا في ليلة دُخلته لمخدعه، أي في ليلة زفافه. وأما عن فترة الخطوبة فهي غير محددة، قد تطول أو تقصر على حسب مقدرة وجدارة الشاب المقبل على الزواج، وقد تصل أحيان من ولادة البنت إلى بلوغها سن الزواج كما أسلفنا. وما تجدر إليه الإشارة أن عموم السوافة يخافون على بناتهم العنوسة والبوار، فيزوجوا الفتاة في سن مبكرة، ولا يهم سنّ الزوج سواء أكان شابا، أو كهلا أو حتى شيخا، شرط أن يكون "عامرا"؛ ولاسيما إذا كان تاجرا موسرا، أو مالكا للنخيل يُشار إليه بالبنان، لأنه سوف يحقق لها كل ما ترجوه من عيش كريم، ويوفر لها ما تتمتع به عن غيرها من مثيلاتها[18].

وفيما يخص فسخ الخطوبة، فإنها كانت نادرة جداً؛ فالنساء عملة مفقودة، ولا شرط في اختيارها ولا داع للنفور منها، وحين يتأزم الأمر ويتوجب على طرف من الطرفين أن يفسخ خطوبته فمن باب التقدير ورفع الشأن، كان يُكلف رجلا من ذوي المكانة إمام مثلا؛ لتبليغ الطرف الآخر بالفسخ، وقد تظهر خصومات نتيجة هذا "التبطيل" كما يقال في سوف، خاصة إذا كان من الخاطب؛ لأن الأمر فيه مساس بسمعة البنت فربما يطول أيْمها، وله أيضا تأثير على العائلة برمتها. والغريب أن الإدارة الفرنسية كانت لا تتدخل غالبا في حل مثل هذه المشاكل بين الناس والفيصل في حلّها هم كبار القرى أو الطُلبة والأعيان.

ثانيا– الزواج طقوسه ومراسيمه:

الزواج في اللغة: هو الضم والجمع، ويراد به الزواج[19]، والزوج كل اثنين ضد الفرد، ويقال للاثنين المتزاوجين زوجان أو زوج. وأما اصطلاحا فهو، عقد لِحِلِّ تَمَتُّع بأنثى غير مَحْرَم، ومجوسية وأَمةً كتابيةٍ بصيغةٍ لقادرٍ ومُحتاجٍ أو راجٍ نسلا[20]. إذن فعهد الزواج هو عقد شرعي رضائي بين الرجل والمرأة لحلِّ العشرة الزوجية وما تحققه من مقاصد حصول السكينة والمودة والرحمة والولد بينهما، وفق أركان وشروط محددة شرعا[21]. ويطلق اسم الزواج على رابطة تقوم بين رجل وامرأة، ينظمها القانون أو العرف، ويحل بموجبها للرجل(الزوج) أن يطأ المرأة ليستولدها[22].

وللزواج مقاصد جاءت بها الشريعة الإسلامية السمحاء، وأول تلك المقاصد؛ هو عبادة الله سبحانه وتعالى، والمقصد الثاني هو، العفاف وحفظ الفرج؛ لأن من مميزات المخلوقات نظام الزوجية والذي يعتبر آية ودليل على قدرة الله، الذي جعل قانون التوالد سببا فطريا يدفع الذكر نحو الأنثى والعكس ميلا فطريا يحقق معنى التناسل والعفاف على حد سواء. وإن من المصالح التي يحققها الزواج مقصد السكينة النفسية والاستئناس لبعضهما البعض. وأجل تلك المقاصد عمارة الأرض وتوطيد شبكة العلاقات الاجتماعية[23]. وعملا بتلك المقاصد يحرص السوافة على تزويج أبنائهم في سن مبكرة.

وسنّ الزواج هو سنّ النضج الطبيعي، ويُعرف بسنّ البلوغ، وهو يختلف باختلاف الشعوب؛ لأنه يتأثر بعوامل المناخ وطبيعة البيئة، فهو يبكر في المناطق الحارة فتبلغ البنت فيها مبلغ النساء في التاسعة أو العاشرة من العمر، ويبلغ الصبي الحلم في الثالثة عشر أو الرابعة عشرة من العمر، ويتأخر عن ذلك في الصنفين في المناطق الباردة[24]. وتعتبر منطقة سوف من المناطق الحارة، فتزوج البنات في سن مبكرة من السنة التاسعة فما فوق، وقد يعقد قرانها مشافهة وهي في مهدها، وتزف إلى زوجها إذا بلغت سن البلوغ. ويُزوج الذكور في سن الخامسة عشرة أو ربما أقل إذا ظهرت عليه علامات البلوغ مبكرا.

1- تجهيز المرأة والرجل للعرس:

مراسيم الزواج في المجتمع السوفي مليئة بعادات وتقاليد متميزة، فعندما يقترب موعد الزواج تبدأ عائلة العروس في تنظيف وتهيئة ملكتهم المدلّلة تحضيرا للزواج، كما ينعمونها برعاية خاصة في الأكل والشرب والراحة، فتخضب يديها في جو من الفرح والبهجة

والغناء، في هذه الأيام ينام معها من ثلاثة إلى أربعة بنات يسحقون لها الفول مع الزعفران ليضعونه على أطرافها؛ لتنقية جسمها من الكلف والشوائب وتنعيمه وتبييضه فتصبح أكثر جمالا. كما تتباهى العروس أمام أترابها بما جُهّزت به من متاع من طرف والديها؛ وهذا لتأخذه معها لبيت زوجها.

أما العريس فيحضر ما أمكن من تجهيز على بساطته في تلك الأيام، ولا يعدوا أن يكون قليل من الأفرشة والأغطية المنسوجة محليا، وبرنوسا من الوبر. وأما غرفة الزوجية هي في أفضل الأحوال غرفة من غرف البيت عند الحضر وخيمة جديدة عند البدو، تبنى في الغرفة دُكّانة على جهة من جهات الجدران الأربع؛ وهي بمثابة سرير الزوجية، ترتفع على أرضية الغرفة بـ 80 سم، ثم يعبأ هذا المربع بالتراب، وبعد جفافه يُفرّش بفراش من صوف ليغطى السرير. ويتم صباغة جدران الغرفة من الداخل بدهانة محلية تقليدية، تتمثل في حرق الحجارة الكلسية(التِّرشة) المستخرجة من الأرض، ثم تسحق وتخلط بالماء؛ لتعطي لونا أبيضا ناصعا تصبغ به الجدران، والبعض من ميسوري الحال يكمل صباغة باقي جدران المنزل. إضافة إلى ذلك يتم تزيين غرفة العريس بتعليق صحون من فخار أو بعض الأواني البسيطة، ويُعلق أيضا عرجون من تمر في الغرفة للدلالة على الخصب والنماء. وأما الإنارة ونظراً لعدم توفر الكهرباء في تلك الفترة، لذا فالنور يتم داخل الغرفة بواسطة "قنينة" وهي الفانوس[25].

وبعدما يتم تجهيز الغرفة ويقرب موعد الزواج، يدخل العريس مع أقرانه "الحِجْبة"[26]؛ حيث يختفي العريس عن الأنظار وخاصة الأهل، ولا يظهر إلا بعد أسبوع أو أسبوعين من تمام الزواج؛ للحياء الشديد الذي كان يطبع المجتمع السوفي. وفي مرحلة الحجبة يُكرم العريس من طرف زملائه، يتناوبون في جلب ما لذ وطاب من أكل وشرب من بيوتهم، وفي الليل تسهر المجموعة على الضحك والغناء، فتكون الجلسات ممتعة يوميا طوال مدة حجبته. وهناك بعض القبائل في سوف كالشعانبة والرُّبايع يسمون اليوم الذي يسبق يوم الزفاف "بيوم الرمي"[27]، وفيه يُرسل إلى أهل العروس ما يسمى بـ "الدفوع"، والمتكون من شاة ضأنًا، ودقيق قمح أو شعير، وفرماس، وحلبة، ويطلقون عليه أيضا "عشاء العروس"،

وفي المساء وبعد إحضار "الرمي"، تكون العروس قد لبست حولي أحمر، ودون أن تختفي على أنظار أهل العريس[28].

2- الاحتفال بالزواج:

يُطلق على العرس اسم "الفرح" أيضا، ويحدد له يوم من طرف أهل العريس على أن يُبلغ أهل العروس مسبقا، ويضبط موعد الأعراس في سوف في الغالب الأعم نهاية جني محصول التمر(الخريف) العصب الأساس في الاقتصاد المحلي[29] من جهة، وتحسن الأجواء الطبيعية واعتدالها من جهة ثانية. ويستغرق الاحتفال بالزيجات في مجتمع الوادي مدة سبعة أيام في غالب مدن وقرى المنطقة، ولكل يوم مراسيم وعادات وأسماء تميزه عن الآخر.

يختلف السكان في يوم "البَدُوْ" أو "البدي"؛ أي، البداية، فبعضهم يبدأ العرس يوم السبت، وآخرون تكون البداية عندهم يوم الثلاثاء. وهذا اليوم من العرس يسمونه أيضا "الرّحي"، وفيه يتم طحن القمح من طرف النساء باستعمال الرّحى؛ لاستعماله في وليمة العرس. والبعض الآخر يطلق عليه نهار "القُفَّة"؛ وفيه يقوم أهل العريس بأخذ طرف أو جناح برنوس ملفوف فيه ملحفتين[30]؛ واحدة سوداء وأخرى بيضاء، وسورية، وبلغة، وشاش بلار ومحرمة رومي، يخرجون بهذه القفة بعد العصر متجهين إلى بيت العروس[31].

واليوم الثاني من الزفاف، يُنعت بنهار "العُطْرية"؛ اشتقاق التسمية من العطر كما هو واضح؛ ووهي مواد الزينة التي تشكل الركيزة في قائمة الهدايا التي تُمنح في هذا اليوم للعروس، وفيه يقوم أهل العريس بطهي "الدشيشة"؛ وهي مرق من طحين القمح، والشاي للحاضرين. وتُجهز قفة العطرية المتكونة من: شاة ضأن أو ماعز، وبعض المواد الغذائية كالشاي والسكر، وقليلا من الشعير أو القمح، واليقطين.. إضافة إلى قفة من سعف النخل مملوءة بمواد العطرية التي تتزين بها العروس وفيها: الحناء، والكحل، والسواك، ومرآة، والفتول، والجاوي، ومواد البخور والحديدة والعفصة التي تصنع منها المدَّة لتنقط بها المرأة في الأيادي والحواجب[32]، وبعض الألبسة المتمثلة في حوليين أبيض وأسود، وملحفتان إحداهما بيضاء وأخرى وردي، ولثام،

وتضم القفة بعض الحُلي، يختلف تعدادها ونوعها على حسب المستوى المعيشي للأسرة، ومن تلك الحلي نجد: الخلخال، والصفائح بدالي، ومقاويس، وتيغار، وبوخدوج، وبوكبير..، أغلبها مصنوع من الفضة، والبعض القليل يُقدم الحلي المصاغة من الذهب كدلالة على الميسرة. ويتم حمل العطرية إلى بيت العروس على الأكتاف أو على الحيوانات، ويسير الناس خلفها مصحوبين بالزرنة، وعند الوصول تعطي أم العريس لأم العروس قارورة زيت لتصنع بها "البوش"[33]، ومن العادة العروس تختفي عن الأنظار خلال هذه الزيارة. وبذهاب أهل العريس تتجمع العجائز حول العروس استعدادًا لما يسمى "بِدَّقِ المعْرْقة"[34]، فيغطى وجه العروس بالبخنوق[35]، وتوضع أمامها قفة السعف، وتقوم إحدى العجائز برفع الغطاء عن وجهها وإعطائها المرآة لتخبئها إلى يوم الزفاف. وفي الليل من اليوم نفسه تقوم النسوة بتخضيب يدي العروس، في جو من الفرحة وضرب الطبل، وتسمى تلك بليلة "الحنة"، بحضور الأقارب والجيران.

وتختلف مراسيم العطرية بعض الشيء بين سكان قرى المنطقة، ففي قرية الدبيلة مثلا، يقوم أهل العريس بتحضير الكسرى، ولبن الماعز والدهان، وتوضع كلها في طبق بالإضافة إلى مرآة دائرية بها خيط أخضر، وكذلك قليل من العلك والسواك والعطر، تأخذ هذه العطرية إلى العروس وتفتح أمامها ولا تختفي وإنما تكون متحجبة بملحفة سوداء تغطيها بأكملها، ويُؤْتى بمثرد يوضع فيه الحليب والدهان وتقطع العروس فيه الكسرى؛ ثم تضع فيه إصبعها، وبعد ذلك توزعه على الموجودين، ثم يُربط في الوسطى من يدها اليمنى المرآة، وتوزع اللبان والسواك، وترش العطر على الحاضرين. وأثناء مغادرة أهل العريس بيت العروس يملئون لهم الطبق بالتمر أو القمح أو ما تيسر[36].

واليوم الثالث من العرس يُطلق عليه "الرُّواح"؛ من الفعل راح، أي أن، العروس تُزف وتروح إلى بيت الزوجية في ليلة هذا اليوم[37]. ومن فجر يوم الرواح، يشرع أهل العرس في التحضير للوليمة، فتذبح الأغنام كل حسب ميسرته، وتحرص النسوة على طهي الفطور؛ وعادة ما يكون مرقا. وبعد إتمام الفطور مباشرة يشرعن في التحضير للعشاء فينقسمن إلى قسمين؛ أربعة يحضرن المرق، وثمانية يفتلن دقيق القمح المحضر سلفا، في جو مليء بالمرح والغناء والرقص والبهجة، ومن أهم الأغاني التي يرددنها البيت الآتي:

سباقة ربي والصلاة على النبي ألف وما تزيه والصلاة على النبي

ويطهى الفطور والعشاء على الحطب، ويقدم في قصاع من العود(الخشب)، ويتم الأكل باليد دون ملاعق. أهل سوف معرفون بالكرم الجود؛ بحيث أنهم لا يستثنون أحدا من القرية وحتى المجاورة من مشاركتهم وليمتهم. إذ بعد الفراغ من الفطور، يتم عقد القران بين الزوجين تحت إشراف الإمام، وبعد ترديد الصيغة من الوليّين وقراءة الفاتحة، يستقبل أهل العرس التهاني والتبريكات من الحاضرين. ويقام في المساء ما يسمى بـ "المحْفَل"؛ وهو عبارة عن تجمع كبير في شكل دائرة، نصفها للرجال والنصف الآخر للنساء، مع وجود فرقة محلية مكونة من رجلين أو ثلاث أحدهم عازف على آلة الزرنة والآخران يضربان على البندير، وتتخلله كل من رقصتي النخ النسائية والزقايري[38] الخاصة بالرجال، ويصاحب ذلك من حين لآخر زغردة النساء[39]، وزئير وصيحات الشباب المتعطش للزواج. وقد عبر أحد الشعراء افتتانه بإحدى الفتيات من راقصات النخ، فقال[40]:

سِبْةْ هلاكي سِلِسْ سود هذوبه وخُرْجت نهار حْفال في لَرْداس

سِقِمْ ڤدها كي طاغية مسروبة وُمْسقمة كي شجرة الصّفصاف

وفي بيت العروس فالتحضيرات لتجهيزها وتزيينها على قدم وساق؛ حتى تظهر أمام بعلها في أحسن حُلّة، وضمن العادات والتقاليد المميزة في طريقة التجهيز، فتستحم العروس في قصعة عود فيها سبعة تمرات وقليل من الزيت بصحبة سبعة بنات، بطريقة فريدة في الاستحمام؛ حيث يَطْلون العروس بعدة مواد تسمى "الشنان"[41]، ويساعدنها في ذلك سبعة فتيات عازبات، ويقلن لها: "حكّيت ظهري عن ظهرك إن شاء الله إنعرس في شهرك"، وبعدها تلبس العروس الملحفة البيضاء، وقندورة وردي، وحولي "سيتان" أسود وكتافية، وتتزيق بوضع السواك في فمها، والكحل في عينيها. وأما عن الحلي فتضع مقواس في اليدين، وخلخال في الرجلين، وصفائح في الأذنين، وفي أغلب الأحيان تبقى حافية القدمين[42].

وبعد إتمام تجهيزها؛ تحيط بها النسوة يزغردن ويغنين استعدادا للقيام بما يسمى بـ"الفُتول" أو"الضفور"؛ وهو عبارة عن خليط مكون من: ورد، ومردقوش، وقرنفل وسرغين وعنبر، وجوزة الطيب..، يُدق حتى يصبح رطبًا، ثم يُعجن بالعطر، ويُدهن به شعر

العروس من اللائي يملكن خبرة في مجال (الفتول)، ويسمى شعرها المفتول (عكسة)[43]، ويؤتى بخيْطين من نوع (دبلة) شريطة أن يكون واحد منهما أحمر اللون والآخر أخضر، وأن يكونا مبرومين في بعضهما البعض، بحيث يشكلان خيط واحد ذا لونين، ثم تبدأ النساء بتسريح شعر العروس[44]، بعد تغطية عينيها بمرحمة حمراء؛ لكي تمسح بها دموعها عند بكائها لفراق أهلها، وبعدها تنزع من شعرها الخيوط وتربطها العازبات في أيديهن؛ وذلك اعتقادا بأنهن سيتزوجن بعدها، ويقوم الجميع بترديد أغنية الفتول، ومنها:

حنينا الحناني ومازال الفتول	روحي يابنية يعطيك بالقبول
حنة قابسية جبوها التجـــار	فيدك يالبنية وإنشا الله تحمار
يا نار الجريد ويا دخانـــها	يا وحش لبنية عن جيرانـــها
يا بابا حنيني ليش أعطيتني	بحال لاني بنتك ولا ربيتني

وإذا بكت العروس في اعتقادهم أن المطر ستنزل، كما يُشرب فوق رأس العروس قليلا من الزيت، بشرط أن تكون أختها أو بنات عمّها، وتُدهن جباه الفتيات بالزعفران، وتقوم العجائز بتقديم النصائح النافعة للعروس في شأن بيتها الجديد، وزوجها، وأهل زوجها ويقلن لها: "رُحتِ لا واليتي ويجعلك عقوبتنا"[45]، تفاؤلا بالحرث الوفير والهناء والسعادة بالبيت الجديد والسكينة والسكن مع بعلها. وقد تناول الشعر الشعبي وصايا ثلاث في شأن المعاملة الحسنة للزوجة مع عائلة زوجها، فقال:

نوَصيك يا بِنِتْ الجود
اخيَارْ اِلْوِصاية ثلاثـة
عمك وسَلْفِكْ ولِقْـرَابْ
حَدِّثِيهم كَانْ بالسِيَاسة

وأما بالنسبة للعريس، فهو الآخر يقوم بتحضير نفسه، فيستحم رفقة أحد أصدقائه، ويلبس قندورة، وقمجة، وبرنوس، وعمامة، الغالب على لونهن البياض، ثم يعطى للعريس سكين، ومنديل حمراء فيها الفول السوداني واللبان والسواك، استعدادا لساعة الدُخلة المرتقبة. وحين يسدل الليل ظلامه، يتوجه أهل العريس إلى بيت أصهارهم الجدد؛ ليزفوا العروس نحو بيت زوجها مشيا على الأقدام، إذا كانت قريبة من بيت الزوجية، في حين

تركب ناقة أو جملا به الجحفة[46] أو الهودج إذا كانت بعيدة، ومن عادات حمل العروس على الهودج عند مجتمع وادي سوف أن الجمل يبقى واقفاً، وتركبه العروس وهو على هذا الحال، حيث يأخذها أحد محارمها مثل: أخوها أو أبوها ليرفعها؛ كي تركب ذلك الهودج، وبالطريقة نفسها عند نزولها منه بعد الوصول، ومن يقود الجمل يكون عمها أو خالها، بعد مصارعتهما لبعضهما في حلقة تجمع أقرباء العروس، والمنتصر في ذلك الصراع هو من يقود الهودج إلى بيت العريس[47].

وعند وصولها بيت العريس، تأخذ العروس التمر المعجون سلفا بالدهان، وتقوم بإلصاقه في أعلى باب دارها، ثم يدقون سبعة مسامير في أعلى الباب، واستعمال التمر تفاؤلا بأن يعيش العروسين أياما حلوة[48]، ثم يُسكب بين رجليها الماء؛ حتى لا تهرب ولا تعود لبيت أبيها حسب اعتقادهم، وبعدها تدخل إلى غرفتها. وفي منتصف الليل تقريبا، مع هدوء الحركة، يأتي العريس يرافقه أصدقاؤه وعلى رأسهم وزيره "المزوار"[49]، دون ترك أحد مع العروسة إلا المزوارة (زوجة المزوار)، وعندما تكون الأجواء مناسبة يأذن المزوار بدخول العريس إلى مخدعه، حينها تتعالى الزغاريد، ويشعل أهله طلوق أو "بخور27"[50]؛ ليعمّ بيت أهل العريس وغرفته، وعند عرش أولاد سعود يعطى للعريس أثناء دخوله عن عروسته سكّيناً يضرب به عتبة غرفته قبل الدخول، ويكون على شكل (X X X)؛ وذلك لإبطال أي عمل شعوذة أو شيئاً من ذلك، ثم يدخل العريس غرفته[51]، وحينها يقوم المزوار بذبح الشاة أمام الباب، وتسمى هذه الشاة في منطقة عميش "بشاة الخرب".

وعند دخول العريس غرفته يُقرِأ عروسه السلام، فترد عليه: وعليكم السلام، ثم يسمي الله، ويتقدم منها للكشف عن وجهها الذي يراه ربما لأول مرة، بعدها يعطيها مبلغاً رمزياً يسمى "الغمبوز"[52]، ثم يخوض باختبارها، والأهل ينتظرون جوابا منه، إن كانت الزوجة عذراء أو مقبولة، وعند البعض يفرض على العريس أن يخرج الخرقة الملطخة بدم البكارة؛ كدلالة على عذرية العروسة، وعندما ترى عائلة العروس ذلك، تتعالى الزغاريد والصيحات، "هكاك يا فلانة هكاكة نورت وجه باباك(الأب) هكاك". وإن كانت العروس فاقدة لعذريتها، يطردها العريس من غرفته، ويتم تطليقها في تلك الليلة، ويُأتى بها مباشرة إلى غرفة تملؤها العجائز؛ ليقرصونها من كل جانب اعتقادا منهم بأنه

درسا تأديبياً لها. وفي حالات قد يُؤتى بصبية أخرى بديلة عنها في تلك الليلة نفسها، لتحل مكان العروس الأولى ولا حرج في ذلك عند المجتمع السوفي[53]. وإن كان الأمر على ما يرام يتنفس أهلها الصعداء وتبتهج وجوههم والفرحة تبدو على محياهم تلك الليلة، تاركين العريس يستمتع بحليلته ويقضي وطره ويرتاح معها، على أن يُودّع الزوج قرينته قبل طلوع الفجر على أمل اللقاء؛ وهذا من قبيل العادة والحشمة والحياء التي تطبع الرجل السوفي.

3- عادات وتقاليد ما بعد الرُّواح:

وبعد تلك الليلة المليئة بالعشق والهيام والعواطف والأشجان، ندخل في صباح اليوم الموالي (اليوم الرابع) من العرس، والذي يسمى بـ "صُباح العرسان"؛ حيث تقوم العروس بعد خروج العريس من داره بتزيين الدار بالبيتات؛ وهو جهاز العروس الذي تجلبه معها من بيت أهلها، ويكون عادة مزود[54]، معبأ بالعديد من الأشياء مثل: الفول والحمص والبلوط والقمح والشعير والفرماس والقديد والفلفل الأحمر المجفف، هذا بالإضافة إلى تعليق جزء من الشاة أو المعزاة التي ذُبحت يوم الرُّواح.

وفي الصباح يزور أهل العروس ابنتهم للاطمئنان عليها وتقديم ما يعرف بـ"الصُّباح"؛ وهو في الغالب عبارة عن قصعة كسكسي، تحمله أم العروس بعد استقبالها لأصهارها، وتدخل به إلى بيت العريس بالزغاريد، ويتقدم النساء نحو العروس، وتقوم الواحدة تلوى الأخرى بوضع يدها على رأسها، وتقول: "أحضر يازين وكدسْ، ملح وإكليل، ورْدَتْلي"[55]، في جو من الفرح والزغاريد. وفي مساء ذلك اليوم، تلبس العروس "الحولي" و"الحزام"، وهو اللباس التقليدي في سوف؛ لترقص في حلقة من النساء، وهن يغنين لها ويضربن الطبل ويصفقن في جو من الفرح والبهجة.

وفي صباح اليوم الثاني(الخامس) يُصنع "الرّفيس"، ويوزع على الجيران والأقارب قصد مباركة الزواج. وأكثر ما يميز هذا اليوم هو عادة "العِقال"؛ وهي بأن يؤتى للعروس في هذا اليوم رحى لتطحن القمح، فتجلس على ركبتيها وتثني رجلها لتبدأ بالطحين، فيربط لها طفل من أهل العريس عادة يكون اسمه محمد أو علي رجلها بخيط أحمر؛ ويُختار الخيط الأحمر لاعتبارات؛ منها حسب تصورهم: حتى لا تعود الفتاة إلى بيتهم، وتنجب لزوجها

ذكراً، وتطيع أهله في هذا البيت. وفي هذه اللحظات يدخل العريس للبيت، ويأتي خلفها ويقترب منها مختلساً؛ ليضربها على كتفها ضربة خفيفة لطيفة، ثم يهرب عنها راكضا، فيما تحاول هي فكّ العقال من على رجلها، واللحاق به والركض خلفه لردّ تلك الضربة له، وكل هذا فقط من أجل بث البهجة في نفوس أهل كل من العروس والعريس، وبأنهما على ما يرام وسعيدين ببعضهما البعض.

ويسمى أيضا هذا اليوم عند البعض بيوم "الكُبوب"[56]، ومنهم من يقوم بهذه العادة في صباح اليوم الثالث؛ وفيه يُعدّ للعروس قصعتين من الحجم الكبير، بهما كسكسي، وفوق كل واحدة منهما كتف من لحم الغنم، فتأخذ واحدة لبيت أبيها وأخرى لبيت عمّها، بمرافقة زوجها، وخلالها تقوم العروس بتقبيل رأس أبيها، ويقوم الأخير بإعطائها ما جاد به جيبه، والأمر مثله مع أعمامها وإخوتها، وبعدها تتناول مع أهلها الطعام، ثم تعود من جديد إلى بيت زوجها.

وخاتمة العرس بالسُّبوع، أي اليوم السابع من الزفاف، وفيه تقام عادة تسمى "الورّادة"؛ وهي، أن يذهب الزوجان مع الأقارب نساءً ورجالا إلى أقرب بئر في القرية، فيقوم العريس بإخراج دلو ماء من البئر، ويفرغه وراء زوجته، وذلك اعتقادًا منهم أن تكون الحياة الزوجية مغدرة مثل الماء، وتحمل العروس القربة أو القُلة، وبها بعض العشب فوق كتفيها؛ والغرض من ذلك كله، أن تبرز لهم بأن شغلها الشاغل خدمة زوجها ورعاية بيته، هذا والزغاريد وضرب الدف لا تكف ذهابا وإيابا.

وهناك تباين في مراسيم يوم "السبوع" بين قرى سوف؛ ففيه عند الدبايلية، يحرص أهل العريس على طهي طبق الدشيشة بالمكونات التي جلبتها العروس معها، مع جزء الشاة التي عُلّقت بدارها، وكذا الكسرة والرفيس[57] والفول المطبوخ. وأما الحجابة فيذهبون لإحضار الجُمَّار، ومن جهة أخرى تكون العروس قد تزينت وارتدت حولي أبيض؛ ويحضرون لها الرحى والقمح؛ لكي تقوم بطحنه مع فتاة أخرى عادة ما تكون أختها أو بنت عمها، حيث يربطون ركبتها (يعقلونها) بخيط وهي جالسة، وكان من يربطها عادة طفل يكون اسمه: محمد أو علي. ثم يدخل العريس وحجابته السبعة وفي يده الجُمَّار والحلوى في خمار أحمر، وتكون العروس حاجبة وجهها بقطعة قماش حمراء؛ ويرمي العريس

فوق رأسها الجمار والحلوى؛ حينها تنهض العروس وتجري وراءه، وإذا سقط منها أي شيء من زينتها إخطّوها "الخطيَّة"؛ وهي أن يُطلب من العروس أي شيء مقابل إرجاع ما سقط من زينتها[58]. وفي خاتمة هذا اليوم، يتسنى للعريس أن يرى أباه، بعد الغياب الذي دام أسبوعين أو أكثر، وهناك من قد لا يستطيع رؤية أبيه احتراما وتقديرا وخجلا منه. وبعدها تبدأ الحياة الزوجية تأخذ مجراها، ويكون قد اكتمل النصف الثاني لكل من العريسين.

خاتمة:

وحاصل القول، فالزواج نظام اجتماعي تتجلى فيه خصائص وطباع المجتمع، ويخضع لتقاليد وعادات ترتبط بعقيدة الجماعة وسلوكها الاجتماعي والأخلاقي وكذا الحيز البيئي الذي تسكنه. وبحكم أن وادي سوف من المناطق الحارة، ففيها يبكر سنّ البلوغ أو الزواج عند الأبناء؛ ولهذا يحرص الأولياء على تزويج فلذات أكبادهم من الصغر. وسلطة رب الأسرة تطغى على المعنيين بالأمر(الزوج والزوجة)، فهما آخر من يعلم ولا دخل لأحد في اختيار شريك العمر بل دون أن يراه، فالأب ومن ورائه الأم هو الذي يخطب ويُزوج ويقبل الخاطب، بل هو الذي يقع عليه عبء تكاليف الزواج. وقد تعددت طرق الخِطبة في سوف، وأما معايير اختيار المخطوبة فتقدر بالانتماء القبلي(الأصل) وهو الأساس، بالإضافة إلى معيار الخلق والتربية والسلوك، وعدم اتخاذ الجمال هو الأوحد في الاختيار، عملا بالقول "تُخير المرأة لجدودها وليس لجلودها".

يمتد العرس كما يحلو للسوافة تسميته سبعة أيام بلياليها، لكل يوم عاداته وطقوسه، بداية من يوم البدو إلى العطرية إلى الرُّواح أو اليوم الذي تُزف فيه العروس إلى مخدعها، وهي الأيام المهمة والغنية بالبهجة والفرح والسرور، بمشاركة الأقارب والجيران وحتى من القرى المجاورة وخاصة تلك التي تنتمي إلى عرش واحد، يحتجب العروسان أيام العرس عن أنظار الآباء؛ حشمة وحياء، ومن الأزواج من لا يرى أباه إلا بعد أيام طوال من زواجه. والجدير بالذكر هناك عدة عادات تفشت في مجتمع البحث فيها من التفسخ والسفور والجاهلية والتصادم مع التقاليد المحافظة للسوافة، كرقصة النخ وطريقة التثبت من عذرية المرأة وغيرهما. وأما أيام ما بعد الرُّواح، لها أيضا تقاليدها وعاداتها والتي اختلفت في بعض

من جزئياتها من قبيلة إلى أخرى وحتى من عميرة إلى عميرة داخل القبيلة الواحدة، فهذا يوم صباح العرسان، وآخر تمارس فيه عادة الكبوب، وتختم الأيام بالسبوع تقوم فيه العروس بجلب الماء من البئر وهو ما يسمى بالورّادة؛ كتعبير منها على خدمة الزوج والسهر على راحته بحضور الأقارب والأصدقاء مصحوبين بزغاريد النساء والغناء وضرب الطبل. هذه بعض الروافد من تراث مجتمع وادي سوف العريق في أيام أفراح الخطوبة والزفاف، والتي اندثر بعضها في زماننا هذا بفعل حالة الحداثة والحضارة في جزئيهما المِقيت.

الهوامش:

1- بالقاسم شتوان، **الخطبة والزواج في الفقه المالكي**، دار الفجر للطباعة والنشر، الجزائر (د. ت)، ص.7.

2- ابن دريد الأزدي، **جمهرة اللغة**، تح. رمزي منير بعلبكي، ج. 1، دار العلم للملايين، بيروت 1987، ص. 291؛ إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تح. أحمد عبد الغفور عطار، ج. 1، دار العلم للملايين، بيروت، 1987، ص. 121.

3- حاج أحمد عبد الله، "العدول عن الخطبة وأثره في استرداد المهر والهدايا"، **مجلة العلوم القانونية والسياسية**، ع. 4، تصدرها جامعة الوادي، الوادي، جانفي 2012 ، ص. 173.

4- عبد السلام الترمانيني، **الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام (دراسة مقارنة)**، سلسلة كتب عالم المعرفة، ع. 80، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أغسطس 1984، ص. 53.

5- عبد القادر بن عزوز، **أحكام فقه الأسرة دراسة مقارنة**، دار قرطبة، الجزائر 2007، ص ص. 49-50.

6- بالقاسم شتوان، المرجع السابق، ص. 7.

7- عثمان زقب، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة سوف 1918-1947 وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا**، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الحاج الأخضر بباتنة، 2006/2005، ص ص. 14-15.

8- روضة نصرات وآخرون، **الحياة الاجتماعية والثقافية في بلدة الرباح** 1884-1962م، بحث غير منشور، لدينا نسخة منه، ص. 41.

9- رقصة النخ: النخ لغة من الفعل نخ، ونخا الإبل قال لها "إخ إخ" لتبرك، ونخ الشخص، خفض رأسه وطأطأه. وتقام رقصة النخ في المحفل حيث يجتمع أهل العرس والضيوف في شكل دائري لمتابعة تفاصيل الرقصة، أين تصطف مجموعة من الفتيات غير المتزوجات، وهن مزينات بشتى أنواع الزينة والحلي الفضية، ويرتدين لباسهن التقليدي الخاص بنساء المنطقة، ويجلسن على ركبهن ثم يقمن بإطلاق شعورهن، ويشرعن في تحريك رؤوسهن يمينا وشمالا، ونحو الأمام والخلف على إيقاع الردّاسي؛ حيث يقوم الشباب بدق الطبلة وهم جالسون مقابلين للفتيات يراقبون تحركاتهم وباستطاعتهم التحكم فيها؛ وذلك من خلال التحكم في ضربات الطبل. وللنخ نوعان: النخ العادي، وهو طريقة عشوائية في تحريك الرأس. ونخ بورجيلة، وهو طريقة تحريك الرأس من اليمين إلى اليسار والعكس أو ما يسمى شق بشق. وفي كلا النوعين للفتاة الاختيار أن تجلس أثناء النخ على ركبتيها أو تقف على رجليها. ينظر: التجاني مياطة، "المحفل السوفي كصورة اتصال رمزي وفني ذو محتوى"، **مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية**، ع. 4، تصدرها جامعة الوادي، الجزائر، جانفي 2014، ص ص. 103-104.

10- علي غنابزية، **مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية**، دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009/2008، ص. 329.

11- زينب التبسي الميلي، **عرائس من بلادي**، دار الكتاب العربي، الجزائر 2007، ص. 124.

12- علي غنابزية، المرجع السابق، ص. 329.

13- ايزابيل ابرهاردت، **عودة العاشق المنفي**، تر. عبد القادر ميهي، دار الوليد، الوادي 2006، ص ص. 186-192.

14- حسان الجيلالي، **غرام زهور**، دار هومة، الجزائر 2008، ص. 12 وما بعدها.

15- رحيم حلو محمد، رباب جبار السوداني، "الخطوبة والزفاف في المجتمع العربي الإسلامي"، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع. 4، جامعة البصرة، العراق، حزيران 2013، ص ص. 10-11.

16- آمال مولاتي، زينب صحراوي، **دور سيدي علي بن خزان وأحفاده في الحياة الاجتماعية والثقافية ببلدة الدبيلة**، بحث غير منشور، لدينا نسخة منه، ص. 36.

17- لا تاخظ: أي لا تأخذ، بمعنى لا تتزوج ولا تختار حسب لهجة أهل سوف.

18- علي غنابزية، المرجع السابق، ص. 331.

19- ابن منظور، **لسان العرب**، ج. 3، دار صادر، بيروت، (د. ت)، ص. 625.

20- أحمد بن محمد الدردير، **أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك**، دار الفكر للطباعة والنشر، (د.ت)، ص. 69؛ محمد محمد سعد، **دليل السالك لمذهب الإمام مالك**، دار الفكر، (د. ت). ص. 71.

21- عبد القادر بن عزوز، المرجع السابق، ص. 9.

22- عبد السلام الترمانيني، المرجع السابق، ص. 15.

23- عبد القادر بن عزوز، المرجع السابق، ص ص. 11-13.

24- عبد السلام الترمانيني، المرجع السابق، ص. 113.

25- محمد ساكر وآخرون، **عادات وتقاليد الأفراح والمناسبات في وادي سوف في الفترة** 1945-1962، بحث غير منشور، لدينا نسخة منه، ص. 35-36.

26- الحِجْبة: من الحجب، وحجبت الشيء أحجبه حجبا إذا سترته. ينظر: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، **جمهرة اللغة**، تح. رمزي منير بعلبكي، ج. 1، دار العلم للملايين، بيروت 1987، ص. 263.

27- الرمي: يرجع سبب التسميه، إلى أنهم يضعون رُبعي قمح أو شعير في الحولي الأسود مشدود إلى عصا بخيط من الوبر، ويشرعون في تحريكه يمينًا وشمالًا.

28- روضة نصرات وآخرون، المرجع السابق، ص. 45.

29- الجباري عثماني، **مدينة الوادي، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في النصف الثاني من القرن 19م من خلال سجلات المحاكم الشرعية**، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة 2009م، ص. 43.

30- الملحفة: الملاءة التي تلتحف بها المرأة، وهي فستان واسع يسبل إلى الكعبين ويصنع من أنسجة حريرية أو صوفية، وتعددت ألوانها، وتكون الملحفة عند المرأة البدوية أقل عرضا وأشد قصرا وتحمل في أكتافها مساسيك من الفضة وتربط بحزام من صوف، والملحفة من أشهر الألبسة التي تضمنتها قائمة المنافع المكملة للصداق في زيجات وادي سوف. ينظر: الجباري عثماني، "مظاهر من العادات الاجتماعية في اللباس والزينة لدى المرأة بوادي سوف"، **مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية**، ع. 2، تصدرها جامعة الوادي، الجزائر، نوفمبر 2013، ص. 189.

31- آمال مولاتي، زينب صحراوي، المرجع السابق، ص. 37.

32- بن سالم بلهادف، **سوف تاريخ وثقافة**، مطبعة الوليد، الوادي 2007، ص. 145.

33- بوش: من فعل باش، وباش الشيء خلطه بغيره. والبوش هنا هو عبارة عن خليط مكون من زيت الزيتون مع عدة أنواع من الأعشاب، نذكر منها: مردكوش، وقرنفل، وورد، وقرفة، وريحة.

34- المعرّقة: تتم بدق القمح وغربلته بالسنابل حتى يصبح مثل الفرينة، ويضاف القرنفل بعد ترطيبه وكذا عدة عطور، وقليلا من الفرينة لتتماسك، ويعجن بالعطر، ويصنع على شكل مثلثات.

35- البخنوق: هو غطاء يصنع من الصوف، ويوضع على الرأس.

C. Cauvet, **Notes sur le Souf et les Souafa**, Bulletin de la société de géographie d'Alger, 1934, p. 70.

36- آمال مولاتي، زينب صحراوي، المرجع السابق، ص. 38.

37- الجباري عثماني، "الزواج والطلاق، ممارسات اجتماعية سوفية أواخر القرن 19م من خلال عقود المحاكم الشرعية"، **مجلة العلوم القانونية والسياسية**، ع. 4، تصدرها جامعة الوادي، الجزائر، جانفي 2012م، ص. 159.

38- رقصة الزقايري: وهي رقصة تؤدى بشكل منتظم برفع الأرجل إلى الأمام مع الجلوس بين الحين والآخر؛ وذلك بما يتناسب مع نغمات آلة الزرنة، حيث يتم رفع الأرجل إلى الأمام والارتكاز على رجل واحدة في شكل دائرة مع هزّ الأكتاف، يرتدي الرقاصة في غالب الأحيان لباسا موحدا يتمثل في، سروال أسود مطرز بالأبيض، وقميص أبيض وعمامة بيضاء وحذاء أبيض، ويستعمل البعض بنادق تقليدية أثناء الزقايري. لهذا ذهب البعض أن اشتقاق الكلمة(زقايري) من الكلمة الفرنسية Guerrier والتي تعني المحارب؛ وربما تأسيا وتأثرا بالمقاومة الشعبية إبان الاستعمار. التجاني مياطة، المرجع السابق، ص. 103.

39- Ahmed Najah, **Le Souf des Oasis**, La maison des livres, Alger 1971, p. 40.

40- أحمد زغب، **أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف**، ج. 3، مطبعة مزوار، الوادي 2010، ص. 48.

41- الشنان: وهو خليط من الأعشاب، مكون من مردقوش ونعناع وحلبة وعطر. ولعل هذا الخليط يمزج مع نبات الشّنّان؛ لذلك أخذ الخليط اسمه؛ وهو نبات يستخدمه البدو في غلي الثياب لغناه بكربونات الصوديوم والبوتاس، يعيش في المناطق الجافة وشبه الجافة، ويتحمل ارتفاع درجة الحرارة، ترعاه الجمال بعد يباسه. موسوعة ويكيبيديا الحرة.

42- روضة نصرات وآخرون، المرجع السابق، ص. 43

43- أحمد منصوري، **الدر المرصوف في تاريخ سوف**، ج. 1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (د. س. ن)، ص. 88.

44- محمد ساكر وآخرن، المرجع السابق، ص. 42.

45- روضة نصرات وآخرون، المرجع السابق، ص. 44.

46- الجحفة: هو خباء توضع على سنام الجمل، يحضر خصيصا للمرأة. ينظر: بن سالم بلهادف، المرجع السابق، ص. 100.

47- محمد ساكر وآخرن، المرجع السابق، ص. 43.

48- آمال مولاتي، زينب صحراوي، المرجع السابق، ص. 37.

49- المزوار: لعل المصطلح من موروثات الوظائف الحكومية في عهد الجزائر العثمانية، لأن من مهام المزوار في تلك الفترة أنه يسهر على أمن شوارع المدينة في الليل والنهار. وهذا يتطابق مع مهام المزوار في أعراس سوف؛ فهو ذاك الشخص المرافق للعريس، شرط أن يكون متزوجا ومن قبيله، ومهمته تنحصر في إسداء النصائح والتوصيات للعريس في معاملة الزوجة ليلة للقاء، على أن يبقى مع قرينته(المزوارة) طوال ليلة الدّخلة؛ يسهر ويراقب الوضع عن كثب، عملا على راحة العرسان وتلبية لطلباتهم، وتغطية لكل مفاجئة أو طارئ قد يحدث. وعن مهام المزوار في العهد العثماني، ينظر: ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، **الجزائر في التاريخ**، ج. 4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص. 19.

50- بخور أو طلوق 27: سُمي بذلك لعدد مكوناته(27 من الأعشاب والعطور)، ولصلاة أهل المسجد عليه ليلة 27 من رمضان ليلة القدر؛ ظناً منهم بأنه مبارك ويذهب البلاء والحسد والعين والسحر.

51- محمد ساكر وآخرن، المرجع السابق، ص. 44.

52- الغَنْبوز: عبارة عن خمار كبير تضعه العروس على رأسها، وعادة "صَرْ الغنبوز"، وهو وضع العريس قطعة نقدية أو فضية في غطاء رأس العروس.

53- محمد ساكر وآخرن، المرجع السابق، ص ص. 44-45.

54- المزاود جمع مفرده مزود، وهو وعاء يجعل فيه الزاد، يصنع من جلود الماعز بعد غسلها ودبغها وصبغها بألوان مختلفة.

55- روضة نصرات وآخرون، المرجع السابق، ص. 45.

56- الكُبوب: من فعل كبّ، كبا، والفعل مكبوب، كبّ الإناء: قلبه على رأسه. وسمي الكبوب؛ لأن العروس أو العريس ينحنيان برأسيهما بوضعية مكبوبان؛ ليقبلان والديهما

كما جرت العادة في هذا اليوم من العرس. وللمزيد حول اختلاف عمائر وقبائل سوف في كيفية إجراء عادة الكبوب. ينظر: سمير عوادي، **قرية تغزوت، الحياة الاقتصادية والاجتماعية من خلال الوثائق المحلية ما بين** 1854-1962، دار هومة، الجزائر 2013، ص ص.76-77.

57- الرّفيس: هو طبق شعبي يتكون من فتات الكسرة مع قليل من السكر والدهان. ينظر: بن سالم بلهادف، المرجع السابق، ص. 145.

58- آمال مولاتي، زينب صحراوي، المرجع السابق، ص. 37.